الرياض

مدائن

الأمير عبدالله الذي انتصر للفقراء

د.عبدالعزيز جارالله الجارالله

لم يكن الفقر شيئاً مجهولاً للتو اكتشفناه.. فقد كان البعض يعيش تفاصيله ومازال منا من يتلفعه ويلتحف الفاقة تحت سمائه.. والفقر لم يكن مغيَّباً ونحن اصطنعناه فشوارع: السبالة، والريس، والشميسي، والعطايف، ودخنة والعود وغبيرة والطرادية وغميتة والعجيلية والجرّادية وجميع تلك الأزقة والتي يطلق عليها الشوارع الخلفية وقاع المدينة كانت أحياء للعامة والخاصة وكانت بيوتاً لبعض الشخصيات وللمسؤولين في الدولة ورجال الأعمال والمال ولأرستقراطيي هذا المجتمع ولوجهاء ووزراء ورجالات الدولة.. هي الرياض القديمة التي انسلخنا من جلدها ونسينا أهلها وناسها بعد ان اوجدنا فوارق اجتماعية ومالية في مجتمع فقد توازنه.

ولاة الامر لم يجهلهم الفقر ولم يكن خافياً عليهم لكنها التقارير الدورية التي يكتبها الرسميون: "الناس بخير ونعمة".. وما يجي منكم قصور.. وغيرها من العبارات التي تغطي فشل المسؤولين في احتواء المشكلات الاجتماعية والمعيشية، هي الإحصائيات التي تستبعد الفقر في المملكة والبطالة والظلم الاجتماعي . وهي ادعاءات القطاعات الحكومية والقطاع الخاص تلك التي تدعي انها تعمل ليل نهار لتحسين اوضاع دخل الانسان السعودي.. والنتيجة ماذا كانت؟! بأن قرر سمو ولي العهد الامير عبدالله بن عبدالعزيز في ليلة رمضانية مع مساعديه وموظفي مكتبه ومستشاريه ان يغادرمكتبه ويغوص في زحام المدينة ويقرر أن يفتح واحدا من قدور الطبخ المزخرفة والفاخرة ليرى ما في القدر من طبخ كما أشار الى ذلك رئيس التحرير الأستاذ تركي السديري في مقال سابق "غطاء القدور الأنيقة" في الحادي عشر من رمضان ويرى سمو ولي العهد (طبخ) احد الطهاة.. هذا واحد من القدور التي يجب ان تفتح وأمام سموه قدور عديدة تنتظر الكشف... وكأني أحس بإحساس الآخرين ممن يقول يا سمو ولي العهد نعرف طهاة وقدوراً في قطاع الخدمات تحتاج الى كشف وتعرية؟!

أراد سمو ولي العهد ان يبث رسالتين: واحدة شعبية والاخرى رسمية، فالشعبية موجهة للأغنياء والاثرياء والميسورين الذين تناسوا فقراء هذا البلد وانفصلوا عن اهل الحاجة والفاقة واقاموا رفاهيتهم دون اي مبالاة واي ادنى مسؤولية اجتماعية.. طبقة ارستقراطية عاشت بأبراجها العاجية متجاهلة من هم تحت خط الفقر ومن يقتلهم الجوع والمرض.. هؤلاء المتخمون تصدروا الواجهات العالمية ومدوا يد المساعدات للآخرين في اقاصي الأرض دون ان يلتفتوا لأهاليهم في الداخل..

اما الرسالة الثانية الرسمية فهي موجهة للوزراء الذين اعتمروا هرم السلطة الإدارية في قطاع الخدمات ممن اعتقدوا ان مناصبهم الوزارية هي تشريف شخصي لهم ومجد مستحق، مكاتب فاخرة ومديرو مكاتب وسكرتارية وتسهيلات حكومية لهم ولعائلاتهم واقاربهم واصدقائهم والمنتفعين من حولهم.. فهموا الوزارة مكاتب رخامية وإكسسوارات ومداخل جمالية وان قطاعهم يدار من المكاتب الزجاجية.. فهموا الوزارة أنها هيمنة إدارية ومالية ووكلاء ونواب للوكلاء ومناقصات وارقام مالية..

رسالة من ولي العهد مضغوطة جداً للذين يرون انفسهم فوق بني جلدتهم وفوق النظام والقانون.. ورسالة للمنتفعين الذين زاد ثراؤهم تحت مظلة الدولة دون ان يقدموا اي نتف لأبناء هذا الوطن.. جاء ولي العهد للشوارع الخلفية في الأحياء الفقيرة يرفع اكثر من شعار، إعلان الفقر والبدء في محاربته، بدء المكاشفة والمحاسبة الوزارية لأجهزة الخدمات، ورفع شعار العمل الإنساني والخيري والتطوعي الداخلي، وشعار إذابة الفوارق الاجتماعية بين ابناء هذا الوطن، وشعار اكثر حرارة وحساسية وهو دفع الاغنياء والميسورين الى إلزامية المساهمة والمشاركة في محاربة الفقر وليس الامر طواعية فهذا وطن الجميع واستقراره من استقرار جميع شرائحه..

رسالتان قالهما سمو الامير عبدالله في ليلة رمضانية باردة أدخلت الدفء على جميع ابناء هذا الشعب الذي شعر وبلا اي مزايدة بإنسانية الامير عبدالله وعمق عاطفته التي غمرت الأحياء الفقيرة.. تلك الاحياء البائسة كانت وشماً مشوّهاً على جبين مملكتنا.. إنسانية الامير عبدالله تجاوزت كاميرات التصوير وتعليقات المرافقين ووصلت للآخرين ممن يسترخون في بيوتهم الرخامية ويتعبقون بروائح الاموال والأرصدة البنكية.. إنسانية الأمير عبدالله قفزت بنا الى صور تاريخية وسجل مملوء بالنخوة والمروة العربية والتلاحم وعطف وكرم الاسلام.. صورة مفرطة بالعاطفة والتعاطف الانساني من امير قرر ان ينتصر للفقراء ويضع اوراق الوزراء والمسؤولين على طاولة الحوار..